

تفسير البحر المحيط

. @ 44 @

وقال الفرزدق : % (مستقبلين شمال الشام نضربهم % .

بحاصب كنديف القطن منثور .

. %)

والحاصب العارض الرامي بالبرد والحجارة . تارة مرة وتجمع على تير وتارات . قال الشاعر

: % (وإنسان عيني يحسر الماء تارة % .

فيبدوا وتارات يجم فيغرق .

. %)

القاصف الذي يكسر كل ما يلقي ، ويقال قصف الشجر يقصفه قصفاً كسره . وقال أبو تمام : %

(إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت % .

عيدان نجد ولا يعبان بالرتم وقيل : القاصف الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها

تتقصف أي تتكسر . .

.

. %)

{ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً * أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي

صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ *

فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونُ

قَرِيبًا * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن

لَبِئْسَ ثَمًّا إِلَّا لَئِيْلًا } . .

قال الزمخشري : لما قالوا { أءذا كُنَّا عظاماً } قيل لهم { كُونُوا حِجَارَةً

أَوْ حَدِيداً } فردَّ قوله { كُونُوا } على قولهم { كُنَّا } كأنه قيل { كُونُوا

حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً } ولا تكونوا عظاماً فإنه يقدر على إحيائكم . والمعنى أنكم

تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم

عظاماً يابسة ، مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائرہ ،

فليس ببدع أن يردها إلى بقدرته إلى حالتها الأولى ، ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة

ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب به البشر ، وهو أن تكونوا { حِجَارَةً } يابسة { أَوْ

حَدِيداً } مع أن طباعها القساوة والصلابة لكان قادراً على أن يردكم إلى حال الحياة

أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ { عندكم عن قبول الحياة ، ويعظم في زعمكم على الخالق
أحياءه فإنه يحييه . .

وقال ابن عطية : كونوا إن استطعتم هذه الأشياء الصعبة الممتنعة التأتي لا بد من بعثكم .
وقوله { كُوزُوا ° } هو الذي يسميه المتكلمون التعجيز من أنواع أفعال ، وبهذه الآية مثل
بعضهم وفي هذا عندي نظر وإنما التعجيز حيث يقتضي بالأمر فعل ما لا يقدر عليه المخاطب
كقوله تعالى : { فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ } ونحوه . وأما هذه الآية
فمعناها كونوا بالتوهم والتقدير كذا وكذا { الَّذِي فَطَرَ كُمْ ° } كذلك هو يعيدكم انتهى
وقال مجاهد : المعنى { كُوزُوا ° } ما شئتم فستعادون . وقال النحاس : هذا قول حسن
لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة وإنما المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم وأنكروا البعث
فقليل لهم استشعروا أن تكونوا ما شئتم ، فلو كنتم { حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا } لبعثتم
كما خلقتهم أول مرة انتهى . .

{ أَوْ خَلَقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ° } صلابته وزيادته على قوة الحديد
وصلابته ، ولم يعينه ترك ذلك إلى أفكارهم